من تراث

الإمام أبي حفص عمر السهروردي

الرسالة الحادية عشرة

كشف الغطاء

لإخوان الصفاء

مقدّمة

عقَدَ السُّهروردِيُّ في هٰذه الرِّسالةِ أربعةَ فصولٍ مُوجَزةٍ تدورُ حولَ بعضِ الحقائقِ المعرفيَّةِ الَّتي مِنْ شأنِها أن تُرقِّيَ أربابَ النَّظَرِ والبرهانِ إلىٰ رُتبةِ أصحابِ العَينِ والعِيانِ ؛ فتكلَّمَ عن المعلولِ وكونِهِ صورةَ العلَّةِ وظاهرَها ، وعنِ العلَّةِ وكونِها حقيقةَ المعلولِ وباطنَهُ ، وأنَّ جميعَ كمالاتِ المعلولِ إنَّما هو أوصافٌ للعلَّةِ وكمالاتِها ، تجلَّت في ماهيَّةِ المعلولِ .

والسُّهروردِيُّ في الرِّسالةِ يستعملُ الاصطلاحاتِ الصُّوفيَّةَ الدَّقيقةَ ؛ كالعلَّةِ ، والمشاهدةِ ، والمرآةِ ، والبَيْنِ ، والحَضرةِ الأحديَّةِ ، وغيرِها ، وهٰذا ما جَعَلَ أسلوبَها دقيقاً يحتاجُ إلىٰ تأنٍّ في القراءةِ إذا ما قُورِنَ بكتُبٍ أُخرىٰ لهُ كـ « عوارفِ المعارفِ » .

ونسبة هٰذه الرسالة إلى الشهاب محلُّ شكٍّ ؛ فقد نسبها مفهرسو « خِزانةُ التراث » ، و« معجَمُ تاريخ التراث الإسلامي » (٣٩٠٧/٥) إلى السُّهرَوَرْدِيِّ المقتول (ت ٥٨٧ هـ) .

وما دفعني إلىٰ إخراجِها في جملةِ تراثِ الشِّهابِ أبي حفصٍ هو عِدَّةُ أمورٍ ؛ منها :

أولاً : موضوعُهُ ؛ فهو ذو صلةٍ بعلاجِ النَّفس في تقويمِ اعوجاجِها ، الأمرُ الَّذي يحرصُ عليه الشِّهابُ في سائرِ ما كتبَ ، وسائرُ المتصوِّفةِ .

ثانياً : نَفَسُهُ في الرِّسالةِ ، وتَردادُهُ لبعضِ المصطلحاتِ المعهودةِ عنهُ .

ثالثاً : قدْ صنَّفَ في الرَّدِّ على الفلاسفةِ كتاباً باسمِ : « كشفُ الفضائحِ

اليُونانيَّةِ ورَشفُ النَّصائحِ الإيمانيَّةِ » ، فحاكاهم في ألفاظِهم ، وجاراهم في مُصطلحاتِهم .

وقد نصَّ المؤلِّف على عنوانِ الرسالة في مُقدِّمتِها ؛ فقال : (هٰذه اللمعة موسومة بـ « كشف الغِطاء لإخوانِ الصَّفاء ») ؛ هٰكذا بالهمز ، وهو ما أثبتناه ، وإن كان مثل هٰذا مما تتصرَّف فيه أقلام النُّسَّاخ ، لٰكنه أَوْلىٰ ؛ لدفع ما قد يُتوهَّم من انتساب هٰذا الكتاب لجماعة « إخوانِ الصَّفا » المعروفةِ تاريخيّاً .

وصف النسخة المعتمدة في التحقيق

مخطوطٌ بمكتبةِ السُّليمانيَّةِ بإستانبول ، الشَّهيد علي باشا ، رقم المجموعة : (١٣٨٢ ـ ٠٠٤) ، الأوراقُ (٢٢ ـ ٢٤) .

وعِلاوةً علىٰ نسخةِ الشَّهيدِ عليٍّ المعتَمَدَةِ في تَحقيقِنا يُوجَدُ منها ثلاثُ نُسخٍ أخرىٰ كلُّها في إستانبول :

أحدُها : في أحمد الثَّالث ، برقم (٢١/١٤٦١) ، وتَشغَلُ الورقَتينِ (١٤٠ ـ ١٤١) .

أمَّا النُّسختانِ الأخُريانِ :

فالأُولىٰ منهما : في راغب ، برقم (٩/١٤٨٠) .

والأُخرىٰ : في وليِّ الدِّينِ ، برقم (١٧/١٨٢٦) .

نماذج من صور المخطوط

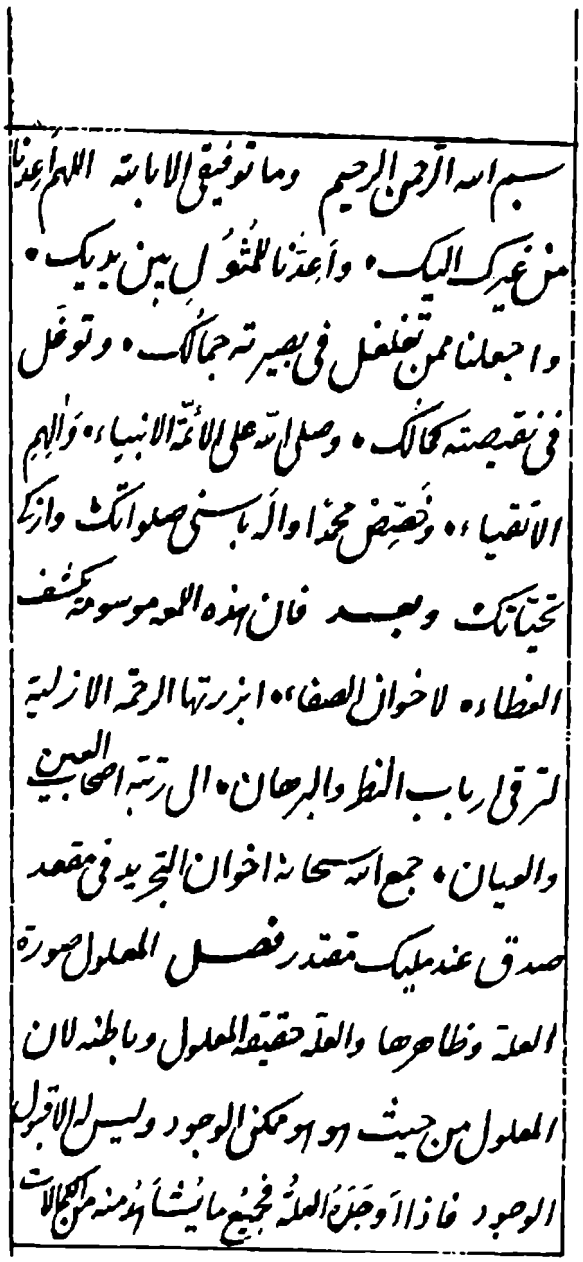

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله اللهم اعذنا
من غيرك اليك ، واعذنا للمثول بين يديك ،
واجعلنا ممن تغلغل في بصيرته جمالك ، وتوغل
في نقيصته كمالك ، وصلى الله على الائمة الانبياء ، والهم
الاتقياء ، وخصص محمدا واله باسنى صلواتك وازكى
تحياتك وبعد فان هذه اللمعة موسومة بكشف
الغطاء ، لاخوان الصفاء ، ابرزتها الرحمة الازلية
لترقى ارباب النظر والبرهان ، الى رتبة اصحاب العين
والعيان ، جمع الله سبحانه اخوان التجريد في مقعد
صدق عند مليك مقتدر فصل المعلول صورة
العلة وظاهرها والعلة حقيقة المعلول وباطنه لان
المعلول من حيث هو هو ممكن الوجود وليس له الا قبول
الوجود فاذا اوجد العلة فجميع ما ينشأ منه من الكمالات

لعله
وصلى الله

نسخة المكتبة السليمانية (تركيا)

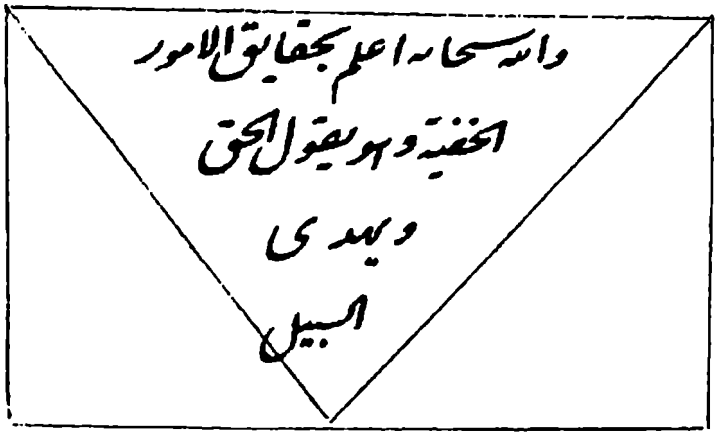

نسخة المكتبة السليمانية (تركيا)

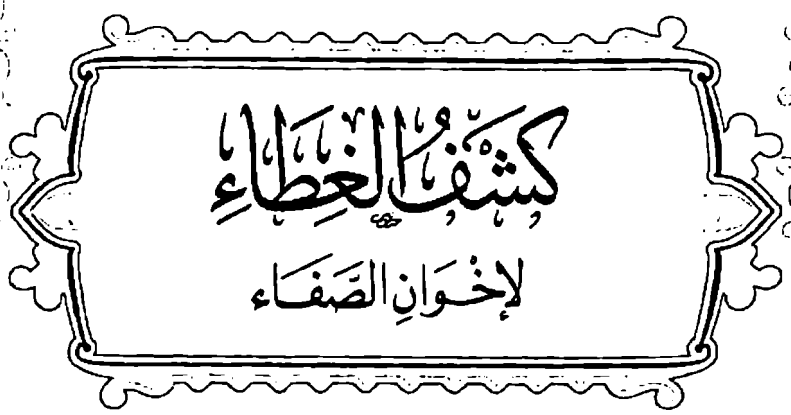
كشف الغطاء
لإخوان الصفاء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وما توفِيقي إلَّا باللهِ ، اللَّهمَّ ؛ أعِذْنا مِنْ غَيرِكَ إليك ، وأَعِدَّنَا للمُثُولِ بينَ يدَيكَ ، واجعَلنا مِمَّنْ تَغلغَلَ في بَصِيرتِهِ جَمالُكَ ، وتَوغَّلَ في نَقِيصَتِهِ كمالُكَ ، وصلَّى اللهُ[1] على الأئمَّةِ الأنبياءِ ، وآلِهِمُ الأتقياءِ ، وخَصِّصْ مُحمَّداً وآلِه بأسنَىٰ صَلواتِكَ ، وأزكَىٰ تَحِيَّاتِكَ .

وبعد :

فإنَّ هٰذه اللُّمعَةَ[2] مَوسُومَةٌ بـ : « كَشفُ الغِطاءِ لإخوانِ الصَّفاءِ » ، أَبرَزَتْها الرَّحمةُ الأَزَلِيَّةُ ؛ لتُرقِّيَ أربابَ النَّظَرِ والبُرهانِ إلىٰ رُتبَةِ أصحابِ العَينِ والعِيانِ ، جمعَ اللهُ سُبحانَهُ إخوانَ التَّجريدِ[3] في مَقعَدِ صِدقٍ عند مَليكٍ مُقتَدِرٍ .

---

(١) علَّق النَّاسخُ في الحاشيةِ بقوله : لعلَّ (وصَلِّ اللهم) .

(٢) اللُّمعةُ : يُحتملُ أن تكونَ : القِطعةُ مِنَ الشَّيءِ ما يُناسبُ حَجمَها ، أو تكونَ مِنَ اللَّمعانِ والنَّصاعةِ ، وكلاهما وجيهٌ .

(٣) التَّجريدُ : مِن مُصطلحاتِ القومِ ؛ يعنونَ به : الإعتزالَ ، وقطعَ العلائقِ والعوائقِ من جميعِ الخلائقِ .

فصل

[في العلةِ والمعلولِ]

المعلُولُ : صورةُ العِلَّةِ وظاهِرُها .

والعِلَّةُ : حقيقةُ المعلُولِ وباطِنُه ؛ لأنَّ المعلُولَ مِن حيثُ هو هو . . مُمكِنُ الوُجودِ ، وليسَ لهُ إلَّا قَبولُ الوُجودِ ، فإذا أَوجَدَهُ العِلَّةُ . . فجمِيعُ ما يُشاهَدُ منهُ مِنَ الكَمالَاتِ هو أوصافُ العِلَّةِ وكَمالَاتُها الَّتي تجلَّىٰ في مَظهَرِ ماهِيَّةِ المعلُولِ علىٰ قَدْرِ ما كانَ قابِلاً لهُ .

فإذا نظرَ إلى المعلُولِ مَنْ لا يَعلَمُ أنَّهُ مَعلُولٌ لغيرِهِ ، أو يَعلَمُ ولمْ يَتفَطَّنْ لمَعلُولِيَّتِهِ حالَ النَّظرِ إليهِ . . نَسَبَ كَمالَاتِهِ المشاهَدةَ إلى المعلُولِ .

ومَنْ تَفَطَّنَ لمَعلُولِيَّتِهِ ، ونَظَرَ إليهِ حالَ التَّفَطُّنِ . . شاهدَ كمالَ العِلَّةِ على الحقيقةِ ، فكأَنَّ ماهيَّةَ المعلُولِ مِن حيثُ ضَربُ المثَلِ إلى المِرآةِ المصقُولةِ ؛ فإنَّهُ ليسَ للمِرآةِ سِوى استعدادِ حِكايةِ صُورةِ المُحاذِي ، وكأنَّ العِلَّةَ هو صورةُ الشَّخصِ المُحاذِي للمِرآةِ .

فمَنْ نَظَرَ في المِرآةِ ، وغَفَلَ عَن كَونِها خالِيةً عن جميعِ الصُّوَرِ مِن حيثُ ذاتُها . . نَسَبَ الصُّورَةَ المِرآتِيَّةَ فيها إلىٰ كَونِها صُورَةَ المرآةِ ، ومَن عَلِمَ حالَ خُلُوِّها في ذاتِها عَن الصُّوَرِ . . نَسَبَها ـ لا مَحالَةَ ـ إلىٰ شَخصٍ خارجٍ عنِ المِرآةِ .

فاجعَل جميعَ المُمكِناتِ مَرايَا ، وما ترىٰ فيها مِنَ الكَمالَاتِ المحسُوسَةِ والمعنَويَّةِ صُوَرَ المرايا ؛ بلِ اجعَلها مِرآةً واحدةً ؛ لتَصِيرَ مِن أهلِ المشاهدَةِ .

فصل

[في المرتبةِ الثانيةِ مِنْ مراتبِ الإدراكِ]

ثمَّ ارْقَ إلىٰ مَرتبةٍ[1] أعلَىٰ مِن هٰذه ؛ وهي :

أنْ تَتنبَّهَ أنَّ مُدرَكَكَ غيرُ خارجٍ عن ذاتِكَ ؛ لأنَّ المُدرَكَ مُحاطٌ بالمُدرِكِ مِن حيثُ إنَّه مُدرَكٌ ، والمُدرِكُ محيطٌ بالذَّاتِ مِنْ حيثُ إنَّهُ مُدرِكٌ ، ولا شكَّ أنَّ هٰذه الإحاطةَ إحاطةٌ عِلميَّةٌ ، والعِلمُ غيرُ مُنفَكٍّ عَنْ ذاتِ العالِمِ ؛ فجميعُ مَعلُوماتِكَ مُحاطٌ لذاتِكَ ، فذاتُكَ مُحيطٌ بهِ .

فإذاً ؛ كلُّ ما أدرَكتَهُ فهو في ذاتِكَ ظَرفيَّةٌ مَعنويَّةٌ ؛ فإنَّ ذاتَكَ مِن عالَمِ المعانِي ، فَلَا بُدَّ مِنْ كَونِها مُحِيطةً بشيءٍ أنْ يكونَ إحاطةً معنويَّةً .

فإذا انكشَفَ لكَ هٰذا المَقامُ . . رأيتَ نفسَكَ مُحِيطةً بجميعِ مَعلُوماتِكَ وكلِّ ما حَضَرَ لكَ ، فتصيرُ نفسُكَ المرآةَ المذكُورةَ ، وهٰذه مشاهَدةٌ أخصُّ مِنَ المشاهَدةِ الأُولىٰ ؛ فإنَّكَ كُنتَ تُشاهِدُ الموجودَ الحقِيقِيَّ قبلَ هٰذا في غَيرِكَ ، والآنَ تُشاهِدُهُ في ذاتِكَ ، وبينَ الرُّتبتَينِ بَونٌ بعيدٌ .

---

(١) في الأصل : (للمرتبةِ) ، والتصحيح مِن الحاشيةِ .

فصل

[في المرتبةِ الثالثةِ مِنْ مراتبِ الإدراكِ]

ثمَّ فوقَ هٰذه المرتبَةِ رُتبةٌ أُخرىٰ أمثَلُ منها ؛ وهي :

بأنْ تَتفطَّنَ لإمكانِ ذاتِكَ ، وكَونِها غيرَ موجودةٍ مِنْ حيثُ هِيَ هِي ؛ فترفَعُها[1] مِنَ البَينِ ، فَتُدرِكُ الأشياءَ كُلَّها مِن حيثُ هي تَجلِّياتٌ للحَضرةِ الأَحَدِيَّةِ ، فتَنفَصِلُ عَن ذاتِكَ مِنْ حيثُ هي مَحلٌّ لرُؤيَةِ الأشياءِ فيها ؛ بل ترىٰ كُلَّها مَنسوبةً مِنْ حيثُ القِيامُ إلى المطلوبِ الحقِيقِيِّ ؛ فتَبقَىٰ أنتَ مشاهِداً للتَّجلِّياتِ[2] فقطْ ، فترَى الأشياءَ كُلَّها قائمةً بالحقِّ ، وترَىٰ نفسَكَ مُبتَهِجَةً بمُشاهدَتِها ، وإذْ تَعلَمُ أنَّها جَمالاتٌ للحقِّ سُبحانَهُ بتأكُّدِ المشاهَدةِ غايةَ التَّأكُّدِ . . فَيتَّضِحُ المطلوبُ وُضوحاً يُبهِرُ البَصِيرةَ .

---

(١) في الأصل : (فيرفعها) .

(٢) التَّجلِّيَاتُ : ما يَنكشِفُ في قلبِ الصُّوفيِّ مِن أسرارِ الغيوبِ .

فصل

[في أعلىٰ رتبِ الإدراكِ]

ثـمَّ إذا أمعَنتَ النَّظَرَ في هـٰذا المَقَامِ . . وجدتَكَ غيرَ خارجٍ عنِ المقامِ الَّذي فارَقتَهُ ؛ وذٰلكَ لأنَّكَ كنتَ تَجِدُ الأشياءَ في ذاتِكَ مِن حيثُ إنَّكَ كنتَ تُدرِكُها ، فلِهـٰذا النَّظَرِ كُنتَ تَجِدُها في ذاتِكَ .

وأمَّا الآنَ : فقدْ قَطَعتَ النَّظَرَ عَن ذاتِكَ مِنْ حيثُ هي مَحَلُّ الأشياءِ ، وكَونُ الأشياءِ قائمةً بها ، ولـٰكنَّكَ بَعدُ في مَقامٍ تُثبِتُ فيهِ كونَكَ مُدرِكاً للأشياءِ ، فيعودُ كونُك مَحَلّاً لها ، وقدْ بانَ لكَ استِحالتُهُ ، فإذاً كونُك مُدرِكاً للأشياءِ يَلزَمُه المُحالُ ، فيكونُ مُحالاً ، فتَنفَصِلُ في هـٰذا المَقامِ عَنْ كونِكَ مُدرِكاً للأشياءِ ، فيَظهَرُ لكَ أنَّ المُدرِكَ بالحقيقةِ هو الحقُّ تعالَىٰ وتقدَّسَ ، واللهُ سُبحانَه أعلمُ بحقائقِ الأُمورِ الخَفِيَّةِ ، وهو يقولُ الحقَّ ويَهدِي السَّبيلَ .